التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة السابعة عشرة، العدد الأول، تشرين الأول ٢٠٢٠

مختارات آبائية

القديس يوحنا فيشنكي، تعليم عن الكنيسة

القديس سمعان من دياباي، مختارات من تعاليمه -٣

حياة روحية

المتقدم في الكهنة قسطنطين أوستروفسكي، عن الرعاية والرعاة والحياة الروحية

الميتروبوليت ييروثيوس فلاخوس، درجات الكمال الروحي

لاهوت

البروفسور جورج مانتزاريذس، تأليه الذات والتألّه بالمسيح بحسب التقليد الأرثوذكسي

د. يوحنا كورنوراكيس، الطبيعة الاجتماعية للهدوئية النسكية

تعليم عن الكنيسة

القديس يوحنا فيشنكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كان القديس يوحنا من فيشنكي راهبًا أرثوذكسيًا مدافعاً عن الإيمان. عاش في أواخر القرن السادس عشر وبدايات السابع عشر في جبل آثوس مع الجماعة البولندية - اللتوانية. تعليمه عن الكنيسة، في سياق الدفاع عن الكنيسة الأرثوذكسية وبُنيَتها رداً على هجمات ممثلي الكثلكة، يحتفظ بقيمته أيضًا في عصرنا من حيث أنه يوضح حقيقة الكنيسة. فقد كتب القديس ردّاً مختصراً على بطرس سكارغا اليسوعي، وضع فيه معايير واضحة للكنيسة الحقيقية. تشكّلت هذه المعايير على وجه التحديد في الجدل مع الكثلكة وموقفها من الكنيسة الأرثوذكسية في أوكرانيا في تلك المرحلة التاريخية. تحمل تعاليم القديس يوحنا عن الكنيسة مسحةً جدلية من حيث أنها إسقاط للتعاليم الأرثوذكسية عن الكنيسة عبر منظور التأثير الكاثوليكي على الأرثوذكسية في أوكرانيا. أكثر ما يثير الاهتمام في تعليم القديس يوحنا هو مسألة حقيقة الكنيسة. ما يلي مختارات من معايير الكنيسة الحقيقية (من مقدمة للمتقدّم في الكهنة أندريه أوختومسكي)

العلامة الأولى لكنيسة الله الحقيقية هي أن الأرواح الشريرة ومن هم مثلهم من الناس يقومون ضدها. لماذا؟ لأن هكذا يجب أن تكون الأمور بحسب الرسول بولس الذي رأى أرواح الشر التي في الجو، أي الأرواح الشريرة التي تسهر على الثورة ضد المسيحيين الأرثوذكسيين دون أن تتعب أو أن تستريح في هذه المعركة. أجاب نفس الرسول بولس في رسالته إلى أهل أفسس عن كيفية مقاومة هذه الأرواح: "أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. اِلْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ. وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ" (أف. ٦: ١٠-١٧).

الكنيسة الحقيقية سوف تُضطَهَد لكن يجب أن تثبت في الحقيقة حتى ولو تأججت المعركة حتى الموت. في النهاية، يسوع المسيح بذاته، مؤسس الكنيسة، يقول: "لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ" (يوحنا ١٥: ٢٠). وأيضاً: "قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهذَا لِكَيْ لاَ تَعْثُرُوا. سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً للهِ. وَسَيَفْعَلُونَ هذَا بِكُمْ لأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الآبَ وَلاَ عَرَفُونِي" (يوحنا ١٦: ١-٣). والرسول بولس يقول لتيموثاوس: "وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ. وَلكِنَّ النَّاسَ الأَشْرَارَ الْمُزَوِّرِينَ سَيَتَقَدَّمُونَ إِلَى أَرْدَأَ، مُضِلِّينَ وَمُضَلِّينَ" (٢تيموثاوس ٣: ١٢-١٣).

في الأيام الأخيرة، سوف تضعف كنيسة المسيح الحقيقية بسبب انتصار أمير هذا العالم، الذي سوف يشدّ إليه الكثيرين من الذين يناسبون عمله. وهنا نعاتب من خلال كلمات يسوع المسيح: "اُدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ، لأَنَّهُ وَاسِعٌ الْبَابُ وَرَحْبٌ الطَّرِيقُ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الْهَلاَكِ، وَكَثِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ مِنْهُ!" (متى ٧: ١٣). ونكرر قول المسيح: "لاَ تَخَفْ، أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ" (لوقا ١٢: ٣٢).

الكنيسة الحقيقية سوف تكون مُبغَضَة من العالم ومن خدّام أمير العالم. يقول المسيح "تَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي" (متى ١٠:٢٢). "لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ" (يوحنا ١٥:١٩).

كنيسة المسيح الحقيقية سوف تحمل صليبها وتحبّ الفَقر. يقول السيد يسوع المسيح: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي... مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ..." (متى ١٦:١٤، يوحنا ١٢:٢٥، متى ١٩:٢١، لوقا ١٤:٣٣).

كنيسة الله الحقيقية، بحسب الحكمة الدنيوية، هي جنون وحماقة وفشل في كل شيء. فالرسول بولس يقول: "لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ، لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ. فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «سَأُبِيدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ، وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ» أَيْنَ الْحَكِيمُ؟ أَيْنَ الْكَاتِبُ؟ أَيْنَ مُبَاحِثُ هذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجَهِّلِ اللهُ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ؟ لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكِرَازَةِ. لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ. لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ! فَانْظُرُوا دَعْوَتَكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْ لَيْسَ كَثِيرُونَ حُكَمَاءَ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَيْسَ كَثِيرُونَ أَقْوِيَاءَ، لَيْسَ كَثِيرُونَ شُرَفَاءَ، بَلِ اخْتَارَ اللهُ جُهَّالَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الْحُكَمَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ ضُعَفَاءَ الْعَالَمِ لِيُخْزِيَ الأَقْوِيَاءَ. وَاخْتَارَ اللهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُزْدَرَى وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِيُبْطِلَ الْمَوْجُودَ، لِكَيْ لاَ يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَنِ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ»" (١كورنثوس ١:١٧-٣١). ويتابع " لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلاً لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا! لأَنَّ حِكْمَةَ هذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «الآخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ»" (١كورنثوس ٣:١٨-١٩).

على كنيسة الله الحقيقية أن تضاعف الثمار المذكورة في ما يلي، وتحمل ثمارها إلى التلاميذ، متزينةً بالطوبى التي رغب بها المسيح لتلاميذه في قوله لهم: "طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ .طُوبَى لِلْحَزَانَى، لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ. اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ" (متى ٥:٣-١٢). هذه هي الثمار الناضجة التي على كنيسة الله أن تحملها دوماً.

بهذه العلامات تُعرَف كنيسة الله الحقيقية. وهكذا، نحن لا نصف الكنيسة الصحيحة وحسب بل نظهِر أيضاً كيف تقاوم الذين يثورون ضدها.

القديس سمعان من ديابابي

مختارات من تعاليمه - ٣

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

٤١. المجذاف المستقيم يبدو ملتويًا تحت الماء، ولهذا السبب يجب أن يصدّق المرء عقله أكثر من نظره.

٤٢. يجب أن يكون هناك بيرة باردة للضيوف، وإيمان ناري في الروح، فهذان أمران حسنان كلٌّ في المكان المناسب.

٤٣. يقال أن المكان الذي يوجد فيه البعوض غير صحي، كذلك الإيمان في الترف ضعيف.

٤٤. يبني السنونو عشه على الحائط، ويخلص الإنسان بالإيمان المستقيم.

٤٥. يمكن للأمطار الغزيرة أن تطفئ الفرن، بينما إشباع الجسد يمكن أن يؤدي إلى فقدان الإيمان.

٤٦. إذا كان الحمام قادرًا على تعلم حمل رسالة، فكيف لا تعتاد أنت على فعل الخير؟

٤٧. تبحث الأغنام عن مروج وحقول، بينما يبحث الأذكياء عن السلام والخلاص.

٤٨. العناكب أنانية جداً لا تصنع العسل للناس مثل النحل، ولا تصنع الحرير كالديدان. لكن على الأقل لديها فضيلة الصمت. الأمر نفسه ينطبق مع الناس، يمكن للمرء أن يجد فضيلة أكبر أو أقل في كل منهم.

٤٩. كما لا يتوقف الخياط أبدًا عن العمل عندما ينقطع خيطه، كذلك الرجل الحكيم لا ييأس عندما يواجه خيبة أمل.

٥٠. في النار، يصبح المعدن كاللهب، والرجل الذي مع الله يصير على صورته.

٥١. مَن لا يرى جيداً يرتدي النظارات، ولكن مَن يريد أن يعرف الكتاب المقدس، عليه التواضع في إيمانه.

٥٢. كما أن الأبواب تُفتح بالمفاتيح، كذلك بالرحمة نحصل على الحياة الأبدية.

٥٣. يمكن للمرء أن يدخل المدينة بطرق مختلفة، ويدخل ملكوت السموات بمجموعة متنوعة من الفضائل. إذا لم يستطع أن يدخلها بالثروة مثل إبراهيم، فيمكنه ذلك بالفقر كما فعل لعازر.

٥٤. كما أنك عندما ترى نجمة الصباح تعرف أن الشمس المشرقة ستظهر بعد قليل، كذلك عندما تحكم على نفسك، فأنت على وشك الخلاص.

٥٥. بعد السوق، يحصي التاجر كل مخزونه، بينما في نهاية اليوم يفحص الرجل الحكيم ضميره.

٥٦. لا يمكنك تعلّم السباحة في الحال، أو الاعتياد على العيش بالتقوى على الفور.

٥٧. كما يخرج من بيضة صغيرة صوص ذو أجنحة كذلك من القلب المتواضع تأتي الأعمال الصالحة.

٥٨. للأسماك الأنهار والبحر، بينما للنفس الحقيقة والقداسة.

٥٩. لا يوجد ليمون بغير عطر، ولا صدقة بدون ثواب. يجب أن ينضج الليمون أولاً ، بينما الثواب لا يأتي إلا في حينه.

٦٠. لا يمكن للمرء أن يجد السمك بزراعة التربة، ولا يجد السلام بالشرّ. السمك في الماء والسلام في الخير. كلاهما يتطلب الكثير من العمل للعثور عليه.

عن الرعاية والرعاة والحياة الروحية

المتقدم في الكهنة قسطنطين أوستروفسكي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

مقتطفات من مقابلة أجرّيت مع المتقدم في الكهنة قسطنطين أوستروفسكي تعليقاً على عدد من استقالات الكهنة، وعلى رأسهم أندرياس كونانوس الذي كان أرشمندريتاً يونانياً وله عدد كبير من النشاطات على وسائل التواصل الاجتماعي والبرامج التعليمية، التي تخطت بتأثيرها اليونان إلى أميركا وروسيا. كونانوس أذاع استقالته خلال أحد برامجه في أيلول الماضي وقال أنه سوف يتابع نشاطاته. أثارت استقالته ضجة في الأوساط الكنسية خاصةً لدى الذين كانوا يتابعونه، وقد شكّل الأمر تجربة لكثيرين.

رأت التراث الأرثوذكسي أن من المفيد نشر هذه المقتطفات خاصةً أن في نفس الفترة انتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي صور أعراس لأكثر من شخص تركوا الكهنوت، أو لشخص كان أرشمندريتاً يتقبل النذور الرهبانية عند الاتحاديين. كالعادة، الصمت كان سيد الموقف في الكنيسة الأنطاكية حيث لم يصدر أي موقف عن أي رئاسة يضيء على المجريات في إطارها الصحيح.

اختيار هذه المقابلة للنشر لا يعني القول للأنطاكيين بأن ما جرى عادي. بل هو دعوة إلى الصلاة وعيش الحياة الروحية بشكلها الأصيل لأن حرب الشيطان على الكنيسة الأرثوذكسية مستعرّة في كل العالم وقد تكون الأخفّ في أنطاكية.

أخطاء الكهنة

بعض الكهنة، بعد أن يكونوا قادة روحيين للكثيرين، يقدمون استقالاتهم ويتركون الكنيسة. لا ينبغي أن يعتقد الناس أن حياة الكنيسة قد اهتزت عندما يهتزّ بعض الناس، حتى ولو كانوا كهنةً يتركون الكنيسة. لا يمكن الكلام عن الجميع والتعميم. الناس مختلفون. سأعطيكم مثالاً إيجابياً: القديس يوحنا الصامت كان أسقفاً في أرمينيا. رغبةً في الصلاة العميقة، ترك الكاتدرائية وتظاهر بأنه رجل عادي. جاء إلى دير القديس سابا المتقدس (في فلسطين) وهناك عاش حياة النسك كراهب عادي. لم يُعرَف أنه اسقف إلا في وقت لاحق. ظاهرياً، هو ترك خدمته لكنه لا يُلام على ذلك.

في بعض الأحيان، الخطايا المميتة، كالزنا وإدمان الكحول، وغيرها من الخطايا التي تتناقض مع الكهنوت، تؤدّي إلى إبعاد شخص ما عن الخدمة. في أحيان أخرى يترك الكهنةُ الخدمةَ من تلقاء أنفسهم وأحيانًا تقرر السلطة الكنسية إيقاف شخص ما من خدمته الكهنوتية.

أحيانًا يُسام الإنسان دون أن يدرك تمامًا نوع الخدمة وماذا تتطلب. في مثل هذه الحالات لا بدّ من التساؤل عن مَن أوصى بسيامته ومَن سامه. أعرف كاهناً شابًا لا أستطيع أن أصف أحواله الآن. هذا، بكل معنى الكلمة، دفعته والدته إلى السيامة. أخذته عمداً إلى أبرشية نائية من أجل ذلك، وبعد فترة أدرك هذا الرجل التعيس أنه لا يستطيع أن يكون كاهناً ولا يريد ذلك.

عن أصحاب المصداقية

أحيانًا يكون بين الكهنة الذين يستقيلون من الخدمة الكهنوتية أشخاص سمع الجميع بأسمائهم، وهم مثقفون معروفون (كأندرياس كونانوس على سبيل المثال). هؤلاء الكهنة يتمتعون بمصداقية كبيرة. هنا الناس الذين كانوا يحترمون هؤلاء الكهنة سوف يفكّرون: "ما الذي كنت أبحث عنه في الكنيسة، إذ

أشعرتني استقالات هؤلاء الكهنة بالحيرة؟" الرد هو بمثال شائع: ذهب رجل إلى السوق ولعب لعبة حظ وخسر كل أمواله. هذا طبعاً لا يعني أنه لا ينبغي لأحد أن يذهب إلى السوق. بل ببساطة لا ينبغي للمرء أن يلعب قمار. إذا كان الإنسان في الكنيسة يبحث عن الله وعن طريق روحي، فإنه سيجده بالتأكيد. بتعبير أدق، اللهُ سيجد هذا الشخص. قد نرتكب أخطاءً في بحثنا. الإنسان الذي يطلب الله يمكن أن يسقط، لكنه بحاجة إلى أن يقوم، والله يساعده عندما يرى جهوده.

عن الاستنفاد الرعائي

يتحدث الكثير من الناس عن الاستنفاد الذي يحصل في بعض الأحيان. هذا يحدث للأطباء والمعلمين. في الكنيسة، يبدو لي أن السبب الرئيسي للإرهاق الرعائي هو أن الإنسان يحاول إخراج الخير من نفسه وبذل طاقته الروحية، لكنها محدودة فينا جميعًا.

إذا لم أقم بتشغيل جهازي المحمول، فلن تنفد طاقته أبدًا، ولكنه سيظل بلا فائدة. ولكن إن شغلّتُه واستعملته دون إعادة شحن البطارية، فسوف تنفد طاقة البطارية وبعد فترة سيتوقف عن العمل. سيعود الكمبيوتر المحمول إلى العمل عند توصيله. الأمر نفسه ينطبق على الإنسان، إذا كان، مجازياً، موصولاً بالقوة الإلهية، وإذا عملت النعمة من خلاله، يمكنه أن يخدم الناس دون أن يُستَنفَد. نحن نعرف أمثلة من القديسين، كيوحنا كرونشتاد البار صانع العجائب على سبيل المثال، الذي كان يخدم الناس من الصباح إلى الليل، يومًا بعد يوم، وكان لديه ما يكفي من القوة حتى وفاته.

ولكن عندما يحاول الإنسان أن يقوم بعمل الله بقوته الخاصة، وعندما تكون غيرته غير معتدلة روحيًا، يمكن أن يصبح روحيًا فارغًا تمامًا. أقصد بكلامي الكهنة الغيارى. الكسالى لا يعانون من الإرهاق. هم مثل جهاز الكمبيوتر المُطفأ. بادئ ذي بدء، نحن بحاجة إلى أن نطلب الله، ونطلب نعمة الله حتى تعمل من خلالنا.

عن الخطأة الذين يتوبون

ما من شيء مميز يحدث في عصرنا ولم يحدث من قبل. لأعطيكم مثالًا نموذجياً: الكنيسة مستشفى روحي. فقط في مستشفانا، الطبيب كليّ القدرة وكليّ العلم. إذا عولِج المريض بأمانة فلا بدّ أن يشفى. لكن المرضى ينتهكون النظام في بعض الأحيان. إذا كان المريض يقفز من النافذة لتعاطي المخدرات، ويرفض العلاج، فلا يمكن لأي طبيب مساعدته. من الأمثلة الحيّة على أنّ لا شيء جديد يحدث اليوم هو حقيقة أنّ من بين الرسل الاثني عشر، تبيّن أن واحداً من كلّ ستة كان خائنًا، أي يهوذا وبطرس. الفارق الوحيد هو أن بطرس تاب وأما يهوذا فلم يتُب. أحيانًا يريد الله أن يمنحنا نعمته من خلال قديس عظيم، أحيانًا عن طريق كاهن عادي، وأحيانًا من خلال شخص خاطئ. لا ينبغي أن نتخلّى عن الحق حتى لو أعلنه الرب من خلال شخص تافه. لا داعي لإدانة أي شخص. يحدث أن يسقط الإنسان ثم يقوم. أنا نفسي أعرف مثل هذه الأمثلة. ربما يكون الإنسان في الواقع قد ترك الكهنوت، ولكن بعد فترة يمكنه أن يتوب، ويقبل الله توبته، فلنأمل...

يجب أن نشعر برأفة صادقة تجاه أولئك الذين يمرّون في هذه التجربة. أكرر: لا تدينوا. ولكن بالطبع، ليس هناك ما يستحقّ الثناء.

عن الثقة في الكاهن

ماذا إذا كان أحد الكهنة واعظاً مفوّهاً ولكنه توقّف وغادر الكنيسة؟ ليس صحيحاً أن نفقد الثقة في جميع الكهنة والآباء الروحيين. يجب أن نبحث عن السند في الله لا في الناس.

شخصياً عشتُ الخبرة التالية: عندما أتيت إلى الكنيسة، كنتُ أتكلّم كثيرًا إلى الأب جورجي بربيف الطيّب الذكر. كان أبي الروحي. في حينه لم يكن قد اتّضح ليأنه كان قديسًا عظيمًا. كنت أتمنى من الله أن

يرشدني من خلال أبي الروحي ، وكنت أصلّي: "يا رب، لا تدع أبي الروحي يضيع وأنا معه". بادئ ذي بدء، يجب أن نطلب من الله. إنه لأمر جيد أن تكرّم أباك الروحي، لكن لا يزال عليك الاعتماد على الله. كل شخص ضعيف. حتى القديسين العظماء قد يخطئون. عندما يكون الإنسان هنا على الأرض يكون ضعيفًا.

لا ينبغي أن تفقد صوابك أبدًا. لكن هذا لا يعني أنّ علينا أن نشكَ في كل كلمة. من الضروري أن نثق، لكن من الضروري أيضًا أن نقارن ما نتعلمه بتعليم الكنيسة، بالأسفار المقدسة، وتعاليم الآباء القديسين. علاوة على ذلك، الكتب الضرورية متوفرة في كل الكنائس تقريبًا.

عن الدعوات إلى الفرح

قد يقع الشخص في الوهم أو في خداع الذات أو الغواية الشيطانية. عندما أسمع أن شخصًا ما يتحدث كثيرًا عن الفرح، ويشجّع الجميع بفرح على الابتهاج، أتعامل مع هذا بحذر وعدم ثقة.

كتب الرسول بولس عن الفرح: "افرحوا دائمًا ، صلوا باستمرار ، اشكروا على كل شيء" (١ تسالونيكي ٥: ١٦-١٨). عسى أن يعطينا الله جميعًا هذا الفرح، لكني أعتقد أن معظمنا بعيدون جدًا جدًا عن هذا.

وعندما يبدأ الإنسان بالضغط على نفسه: "يجب أن أكون سعيدًا"، أنظر إليه ولا أصدّق. كتب تشيسترتون في إحدى قصصه: "عندما أرى شخصًا دائمًا في حالة مرحة وسعيدة، أتوقع أنه سينتحر قريبًا".

إلى هذا، فإن الرغبة في الحصول فقط على ما هو مبهج من الكنيسة وأن لا يكون فيها إلا الصالحون وأن تكون العلاقة بها صادقة دائماً: هذا في حد ذاته وهم وغواية. بالمناسبة، كل هذا مفروغ منه عند بعض الطوائف. هناك طريق أقصر وأكثر خطورة هي المخدرات التي توفر الراحة لفترة قصيرة. لكن هذا ليس الطريق إلى الله. أنتم بحاجة إلى السعي إلى الله، فهو سعي نافع ومخلّص لنفوسنا. يجب أن يحذر الراشد من المعاملة اللطيفة.

نعم، كان القديس سيرافيم ساروفسكي ينادي كل مَن يأتي إليه "يا فرحي!" إذ كانت روحه مفعمة بالنعمة نتيجة سنين كثيرة من الأعمال العظيمة من إفراغ الذات والصمت أثناء عيشه في الغابة وحده وصلاته. لقد كان يطلب الله لا التعزيات، ومع الله وجد النعمة والفرح معاً. لاحقًا، سكب هذا الفرح الإلهي الحقيقي على الذين تواصلوا معه. لكن هذا النوع من الفرح نادر.

من الواضح أنك تحتاج في الكنيسة إلى معاملة الناس بعناية وانتباه. يجب أن يتذكر الكهنة وخدّام الكنيسة أنه ينبغي الترحيب بالناس بلطف. يجب أن نكون جميعًا متلطّفين ببعضنا البعض. هذا طبيعي. علينا أن نشجّع الذين يأتون إلى الكنيسة ونعزّيهم ولا نحرجهم. هذا هو اهتمام خدام الكنيسة ونحن نخطئ إذا فعلنا غير ذلك. لكن يجب على الشخص الآتي إلى الكنيسة، كما أكرر مجدداً، أن يبحث بدقّة عن الطريق الروحي. وهذا المسار دائمًا يتضمّن حمل الصليب.

في كثير من الأحيان، ينبغي إخبار أبناء الرعية الذين يتذمرون إلى الله في الظروف المحزنة بأننا لسنا موعودين بأي منافع على الأرض، بل ملكوت السموات. المسيح نفسه قد صُلب ومات على الصليب على الأرض ، وهو يدعونا لأن نسلك طريق الصليب.

عن الذين يقودوننا إلى الله

في بعض الأحيان، عظات أو كتب أولئك الذين خلعوا رتبهم أو تركوا الكنيسة، قد تجلب شخصًا ما إليها. لا يوجد شيء مميز في هذا. على سبيل المثال، تأثرتُ كثيرًا بكتاب المنجّم بيتر أوسبنسكي "بحثاً عن المُعجِز". عندما قرأتُ هذا الكتاب، تخلّيت عن أوهامي الأخلاقية وقررت البحث عن طريق روحي ووجدته في الكنيسة. لكن هذا لا يعني أن الكتاب جيد وأن أوسبنسكي ليس عالِم تنجيم.

أحيانًا يمكن للإنسان أن يؤمن من خلال كاهن، حتى ولو كان خاطئًا. فيرا فيرخوفتسيفا، الابنة الروحية للقديس يوحنا كرونشتاد، عاشت حياة فاسدة ثم تابت وقررت تقديم اعترافها الأول للأب سرجيوس الذي عمّدها في طفولتها. اعترفت وأخبرته بصدق عن كل حياتها ثم اكتشفت أنه كان مخمورًا تمامًا اثناء الاعتراف. لكن طريق التوبة قادها بعد ذلك إلى الأب يوحنا كرونشتاد الذي دعا فيما بعد الأب سرجيوس الذي صحّح حياته في النهاية. يبدو الأمر أن كاهنًا مخمورًا يؤدي الأسرار المقدسة يمكن أن يحرج الكنيسة ويبعِد الناس عنها، لكن الله ساعد فيرخوفتسيفا حتى من خلال هذا الكاهن، لأنها كانت تبحث عن الله. ومع ذلك، هذا لا يبرر خطايانا.

بالنسبة للكتب، يمكن للإنسان أن يكتب كلمات صحيحة حتى لو كان في حالة من الوهم. "أنا أؤمن بوجود إله"، هذا يكفي لقيادة شخص ما إلى الإيمان. وليكن هذا الشخص ممتنًا للكاهن الذي كتب هذه الكلمات ولهذا الكتاب وليصلِّ من أجل الكاتب.

عن التوقعات الكبيرة جداً

بشكل عام ، لا داعي للخوف مما يحدث. هنا، كما في الحرب، يمكن أن يُقتل شخص في مكان قريب. الشيء الرئيسي هو محاولة الصمود، الشعور بالأسف على الرفاق القتلى، ومحاولة مساعدة الجرحى. هذه المعركة ليست نكتة، الحياة الروحية خطيرة. قال المتروبوليت أنطوني من سوروج إن بدء الصلاة يشبه الدخول في قفص مع نمر. كما ترون، إنه نمر وليس غزالاً طيباً. ولكن إذا كان الإنسان يبحث عن الله فالله يساعده بالتأكيد.

يتحدث الكثيرون عن الكهنة الذين استقالوا علنًا من الكهنوت بمحض إرادتهم، وهم طبعاً يشكّلون تجربة للضعفاء. ولكن مَن يتعرّض لتجربة شديدة بسبب النواقص التي رآها في حياة الكنيسة، يعني أن مقاربته كانت خاطئة من قبل وتوقعاته عالية جدًا بشكل غير مبرر.

لقد حدث لي العكس تمامًا، إذ عندما جئت إلى الكنيسة واعتمدت في السابعة والعشرين من عمري، لم أكن أتوقع شيئًا جيدًا من الكنيسة. كانت فكرتي أن هناك شيئًا يجب البحث عنه في الكنيسة، لكنني كنت أعامل الناس مسبقًا بتحيّز كبير. تدريجيًا اتضح لي أن أحكامي المسبقة بعيدة كل البعد عن الصِحّة، وأن هناك الكثير من الروحيين الصالحين في الكنيسة. هذا الأمر يكون أكثر صعوبة للشخص الذي يبدأ العلاقة ببهجة. ففي البداية يلتقي بأناس رائعين في الكنيسة وفجأة يعلم أن بينهم مَن ليس كما رآه. هذه تجربة يجب على المرء أن يتغلب عليها.

عن عمل الحياة الروحية الباهر

قد يبدو للإنسان أنه ضعيف وعاجز عن فعل أي شيء. لكن في الحرب لا محل للضعفاء، أنت استُدعيت وأُعطيت بندقية لذا امضِ وتموضَعْ في الخندق. طبعاً هناك جنرالات وضباط وهناك قوى النخبة بمواهب خاصة. لكن الجندي العادي هو محارب روحي، فهو مؤتمن على عمل الله ويجب أن يقاتل من أجل النصر. الجبن سيء، إنه خطيئة.

الله يحفظنا. ربما من خلال كاهن صالح أو من خلال كاهن سيئ أو ربّما بدون كاهن على الإطلاق. إن أرسل الله أبًا روحيًا مستحقًا وخبيرًا فهذه تكون نعمة عظيمة. يجب أن نمسك بيد أبٍ مثل هذا. هذا خلاصيّ رغم أنه قد يكون صعبًا للغاية. إذا لم يرسل الله أبًا روحيًا كهذا فسوف يقودك بنفسه بطريقة مختلفة. الشيء الأهم هو السعي إلى الله.

الحياة الروحية عمل بطولي، فهي تتطلّب منّا العمل والصبر. ولكن الله يعين مَن يسير عليها ويرفع الساقط إلا إذا رفض السير في هذا الطريق. يصير الأمر سيئاً عندما تختلف الأمور. إذا واصلنا استعارة صورة الحرب فالجندي الذي يؤدي واجبه العسكري لن يُترَك حتى لو أصيب. أما إذا فرّ فوَيلٌ له. الإيمان لا يُعطى لنا في المعاهد والمؤسسات اللاهوتية. الإيمان مسألة تتعلّق بإرادتنا.

لذلك، ليس هناك ما يدعو إلى الاستغراب من وجود العديد من المتعلمين بين الذين سقطوا. كما لا داعي لإدانة أحد، فقد نقع نحن أيضًا في نفس الأمر. إذا سقط من الإيمان شخص عزيز كنا نثق به، فمن الضروري أن نصلّي أكثر من أجله. إذا كان قد قال كلمات ما زالت صحيحة إلى الآن وبعد كل شيء، فيجب أن يكون المرء ممتنًا له. إذا تبيّن أنها كانت خاطئة فعلينا أن نتفحّص سبب استجابة روحنا لها ونتوب.

هذا معنى تحسين ذواتنا: أن نجد حلولاً للمهام الموكلة إلينا من الله، بمعونته.

https://www.pravmir.com/priests-leave-church-archpriest-konstantin-ostrovsky-speaks-on-how-to-live-through-it/

درجات الكمال الروحي

الميتروبوليت بيروثيوس فلاخوس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

أهم عمل للكنيسة هو علاج الإنسان. لذلك الكنيسة الأرثوذكسية هي مستشفى، مستوصف للروح. هذا لا يعني أن الكنيسة تتجاهل مجالات النشاط الرعائي الأخرى، لأنها تهدف إلى الإنسان كله، وهو يتكوّن من الجسد والروح. إنها تهتم بالفعل بالمشاكل الجسدية والاقتصادية والاجتماعية أيضًا؛ ومع ذلك، فإن ثقل خدمتها الرعائية الرئيسي موضوع على علاج الروح، إذ عندما تُشفى روح الإنسان، تنحلّ العديد من المشاكل المستعصية الأخرى.

يتّهم البعض الكنيسةَ الأرثوذكسية بأنها لا تنخرط كثيرًا في المشاكل الاجتماعية. ومع ذلك، فإن الكنيسة تهتمّ بكل الأمور التي تهمّ الإنسان. يظهر هذا الاهتمام واضحاً من محتوى صلواتها في خِدَم العبادة كما في عمل الآباء القديسين وتعليمهم. ولكن كما يهتمّ المستشفى الطبي بشكل أساسي بعلاج الجسد - ومن خلال هذا العلاج يتعامل مع بقية مشاكل الشخص - كذلك هو الحال في الكنيسة الأرثوذكسية. إنها تشفي جوهر شخصية الإنسان ومن خلاله تشفي الشخص كله. لهذا السبب، حتى في أوقات الاضطرابات الاجتماعية، عندما تكون جميع الآليات الحكومية متوقفة فعليًا - حتى الحريات الخارجية للشعوب - تحافظ الكنيسة على عملها: علاج الشخص وشفائه.

إن شفاء شخصية الإنسان هو في الحقيقة تقدّمه نحو الكمال الذي يُعرَّف في الواقع على أنه "التأله"، إذ في لاهوت آباء الكنيسة، التألّه والكمال هما مصطلحان مترادفان. وهذا العلاج ضروري للغاية، لأن سقوط الإنسان، الذي تمّ في شخص آدم، يشكّل مرضَ طبيعة الإنسان.

في الفردوس، قبل السقوط، كان آدم في حالة "ثاوريا" أي معاينة الله. تكشف دراسة سفر التكوين أنّ آدم كان في شركةٍ مع الله. ولكن كان من الضروري له أن يبقى على هذه الحالة، بحكم جهاده الطوعي، حتى يستقرّ أكثر ويصل إلى شركة واتحاد كامل معه. يصف القديس يوحنا الدمشقي حالة "العدالة" البدائية هذه بشكل مميز. تطهّر آدم وتغذّى في نفس الوقت برؤية الله. كان عقله مستنيرًا، وهذا يدل قبل كل شيء على أنه كان هيكلًا للروح القدس، وأنه كان يختبر ذكرَ الله بلا انقطاع.

تتكون الخطيئة "الجديّة" من ظلام النوس[١] وفقدان الشركة مع الله. كان لهذه الخطيئة بالطبع تداعيات أخرى أيضًا: ارتدى الإنسان ثيابًا جسدية من الانحلال والفناء. عانى النوس من ظلمة عميقة. بعبارة أخرى، فقد الإنسان نور نوسه. أصبح نجسًا وأهوائياً وحمل جسده الفسادَ والفناء. وهكذا، من يوم ولادتنا، نحمل في داخلنا الفساد والموت: حياة بشرية تأتي إلى العالم محكوم عليها بالموت. ومن ثم، بسبب السقوط، نعاني من مرض عالمي. كل من النفس والجسد مريضان وبطبيعة الحال، بما أن الإنسان هو خلاصة كل الخليقة - العالم الصغير داخل الكون الكبير - حلّ الفساد أيضًا على كل الخليقة.

"إنّ العقلَ قد تجرَّح، والجسمَ قد ضني، والرّوحَ قد اعتلّ، والنّطقَ قد ضَعُف، والعمرَ قد أُميت، والنجازَ على الأبواب. فماذا تصنعينَ أيّتُها النفسُ الشّقيّةُ إذا ما جاءَ القاضي ليستفحصَ أموركِ؟" (القانون الكبير)

في الواقع، عندما نتحدث عن الخطيئة الجديّة وعواقبها، فإننا نعني ثلاثة أشياء: أولاً، خلل النوس حيث توقّف عن العمل بشكل صحيح؛ ثانيًا، تحديد النوس بالعقل (وإلى حدٍ ما ، تأليه العقل) وثالثًا استعباد النوس للعواطف والقلق وظروف البيئة. وهذا يشكّل الموت الحقيقي للإنسان.

لقد اختبر الانسان الارتباك؛ نفسه الداخلية كانت تموت ونوسه يسيطر عليه الظلام. وتماماً كما أنه عندما تفسد عين الجسد فالجسد يظلِم بالكامل، كذلك عندما يعتلّ النوس، عين النفس، من العمى، فإن النفس الروحية بكاملها تصير مريضة. إنها تقع في الظلام الأعمق. هذا ما يشير إليه الرب بقوله: فَإِنْ

كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ!" (متى ٦:٢٣).

بالإضافة إلى الانقطاع بكامِلِ وظائف النفس الداخلية، نتج عن الخطيئة الجديّة اختلال الإنسان الخارجي. فإذ به يواجه البشر الآخرين والعالم وكل الخليقة بطريقة مختلفة. لم يعد النوس قادراً على لقاء الله، فكانت النتيجة خلق أصنام لله ما نتج عنه الديانات الوثنية وحتى الانحرافات الهرطوقية.

في عجزه عن أن يرى الإنسان كصورة لله، صار النوس يلاقي الإنسان متأثّراً بالأهواء. إنه يستغلّ أخاه الإنسان بشكل طموح من خلال محبة اللذة والكسب المادي. إنه ينظر إليه كإناء أو أداة للذة؛ وفي الوقت نفسه يصنّم الخليقة كما يصف الرسول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ." (رومية ١:٢٢-٢٣).

لهذا يحتاج الإنسان لأن يُشفى، أي أن يتطهّر وأن يقتني استنارة النوس، أي حالة آدم قبل السقوط، ومن ثم يبلغ التألّه. هذا يتحقق تحديداً بتجسّد المسيح ومجمل عمل التدبير الإلهي والكنيسة. ينبغي النظر إلى الكثير من النصوص الليتورجية حيث يُوصَف المسيح بالطبيب وشافي النفوس والأجساد، من ضمن هذا الإطار المرجعي. إلى هذا، في نفس الإطار ينبغي درس مختلف النصوص الآبائية حيث يظهر عمل المسيح الرئيسي والأول عملاً علاجياً.

بعد سقوط الإنسان نشأت الحاجة للعلاج. هذا تأثّر بتجسّد المسيح ومنذاك صار هذا عمل الكنيسة. إنها تشفي الإنسان عامة وخاصة، وبشكل رئيسي تشفي شخصيته الجريحة: نوسه وقلبه. كل آباء الكنيسة يدعون الإنسان لأن يسعى إلى الشفاء. وهو يشفى بقوة الله التي مصدرها غير مخلوق وهي تتكشّف في "شخص يسوع المسيح". قوة المسيح التي منها يأتي شفاء الإنسان تُمنَح مجاناً ولهذا تُدعى النعمة الإلهية. لهذا، سواء قلنا قوة غير مخلوقة أو نعمة إلهية لا فرق إذ نعني الأمر نفسه. يكتب الرسول بولس: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ." (أفسس ٢:٨).

إذ يحيا الإنسان ضمن الكنيسة بالنعمة، يطهّر أولاً قلبه من الأهواء، فيَصِل إلى استنارة النوس كما كان آدم قبل السقوط، ومن بعدها يصعد إلى التألّه الذي هو شركة الإنسان مع الله واتحاده به وهو ما نصفه بأنه الخلاص. هذه هي درجات الكمال الروحي وقاعدة الروحانية الأرثوذكسية.

مع هذا، ينبغي قول بعض الأمور عن النعمة الإلهية قبل أن نتطلع إلى مراحل الكمال الروحي، التي هي طريقة ومنهج علاج الإنسان، إذ هي متّصلة بشدة بالتطهّر والاستنارة والتمجيد.

في الروحانية الأرثوذكسية، التطهّر والاستنارة والتألّه ليست مراحل نشاط بشري، بل هي نتائج قوة الله غير المخلوقة. عندما النعمة الإلهية (قوّة الله) تطهّر الإنسانَ من الأهواء، فإنها تسمّى مطهّرة؛ عندما تنير نوسه تسمى منيرة. وعندما تؤلّه الإنسان تسمّى مؤلِّهَة. نعمة الله وقوته نفسها تُعطى أسماء مختلفة وفقًا لتأثيراتها.

عبر كل التقليد الآبائي، يلمّح الآباء إلى المراحل الثلاث للكمال الروحي باعتبارها الدرجات الثلاث لشفاء الفرد. يذكر القديس ديونيسيوس الأريوباغيتي التطهّر والاستنارة والكمال. كما يستخدم القديس غريغوريوس النيصي التمييز نفسه. يشير القديس مكسيموس المعترف أيضًا إلى الفلسفة العملية (التطهّر) والثايوريا الطبيعية (التنوّر) واللاهوت الصوفي (التألّه). يقسّم القديس سمعان اللاهوتي الجديد في كتاباته بعض الفصول إلى إصحاحات عملية ومعرفية ولاهوتية. في كل التقليد الأرثوذكسي، تُذكَر مراحل الكمال الثلاث هذه بشكل متكرر. بهذه الطريقة يُشفى الإنسان ويختبر التقليد المقدس؛ يصبح "تقليدًا" ويخلق "تقليدًا". إنه حامل التقليد. مميّز هو العنوان الفرعي للفيلوكاليا الذي هو عمل القديس نيقوديموس الأثوسي والقديس مكاريوس أسقف كورنثوس. في هذا العمل الذي هو عبارة عن تجميع لكتابات الآباء القديسين [من القرن الرابع إلى القرن الخامس عشر] ، تتمّ مناقشة كيفية علاج الإنسان لنوسه من خلال المرور بالمراحل الثلاثة للحياة الروحية. ومن المعروف أن الفيلوكاليا، التي تحتوي على الطريقة الكاملة لشفاء البشر، هي دليل أساسي للحياة الروحية".

[١] النوس: للكلمة استخدامات مختلفة في تعاليم آباء الكنيسة، فهي تشير إما إلى الروح أو القلب أو حتى إلى طاقة الروح. ومع ذلك، فإن النوس هو في الأساس عين الروح؛ أنقى جزء منها؛ ذروة الانتباه؛ ويُسمّى أيضًا القوة النوسيّة ولا يتم تحديده بالعقل.

*An excerpt from Chapter 4 of "Orthodox Spirituality, a brief introduction", pp. 40-49.

تأليه الذات والتألّه بالمسيح بحسب التقليد الأرثوذكسي

البروفسور جورج مانتزاريذس
نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

في السياسة، يتحدث أرسطو عن نهم الإنسان وعدم حدود رغباته: "طبيعة الرغبة هي أن تكون غير محدودة، ومعظم البشر يعيشون ليُتخَموا".[٢] العالم ككل غير مناسب تمامًا لإشباع رغبات الإنسان. اليومَ يتّضح هذا أكثر حيث يوسّع الإنسان غزواته على الكوكب بأسره وحتى أبعد من ذلك دون الشعور بالسعادة أو تحقيق المزيد. في الواقع، نرى اليوم أن تراكم الفتوحات هذا يزيد فقط تعطش الإنسان للاستحواذ. إشباع رغبات الإنسان يزيد فعلياً من جشعه.

قد تبدو هذه الظاهرة متناقضة، إذا نظرنا إليها من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الدهرية. ولكن بالنسبة للأنثروبولوجيا المسيحية، فإن الوضع ليس ممكنًا وحسب بل هو طبيعي. في التعاليم المسيحية، الإنسان مخلوق "على صورة الله ومثاله"، ما يعني أنّ العلامات المميزة للألوهة، كالأبدية والكمال والخلود وما إلى ذلك، والتي تميّز الإله غير المخلوق والمتسامي موجودة أيضًا في الإنسان، رغم أنه مخلوق ومحدود معاً. لذلك، فإن المفارقة لا تتمحور في رغبات الإنسان وتطلعاته، بل هي في طبيعته وبُنيَته. هذا لا يعني أن الإنسان يطمح إلى اللامحدود والكامل والأبدي بل بالأحرى أنه على الرغم من كونه مخلوقاً وبالتالي فانياً، فإنه لا يستطيع أن ينجز المشروع الذي خُلق من أجله دون أن يُرشَدَ إلى ما هو أبعد من المحدود والمتحول؛ أي دون أن يتألَّه.

الإنسان بالفطرة يشتهي التألّه. باتباع هذا الطموح يحقق الإنسان مهمته ويحقق الغرض من وجوده. كما يلاحظ القديس مكسيموس المعترف: "لقد جعَلَنا الله نشارك في الطبيعة الإلهية وأبديّتها ونصبح مثله من خلال التقديس بالنعمة."[٣] في الواقع ، هذه الرغبة في أن يصير إلهاً هي التي أدت إلى إتلاف الإنسان بتحويله إلى فاسد وشيطاني. إنها، في الواقع، أساس كل عمل بشري يعاقب السقوط ويديمه. في قطعة المجد في إينوس سحر عيد البشارة، كتب كاتب الترانيم الأرثوذكسي: "لقد خاب آدم قديماً فلم يصِر إلهاً كما كان قد اشتهى. فصار الإله إنساناً لكي يصير آدم إلهاً".

جاهد الإنسان لأن يتألَّه ولكنه ضُلّل لأنه حاول الوصول إلى هدفه بدون الله. أراد أن يكون المؤلف وليس المتلقي لتألّهه. ولكن ما لم يحققه الإنسان بتخليه عن الله، وهبه الله إياه بتجسده. صار الله إنسانًا لتأليه الإنسان. "لأنه هو نفسه قد صار إنسانًا لكي نتألّه."[٤] إن جسد المسيح كجسد الكلمة المتجسد هو نقطة الاتصال بين الله والإنسان التي تفتح الطريق للتألّه. وقد عبّر القديس أثناسيوس الكبير عن هذا الأمر بإيجاز عندما كتب: "بينما بعد سقوط آدم كلهم انجرفوا إلى هلاكهم، فإن أول من يخلص ويؤلّه هو جسد المسيح كجسد الكلمة المتجسد. إلى هذا الحد،"يتابع القديس أثناسيوس،"كوننا نشترك معه بنفس المادة فهو يخلصنا، أي أن الرب يقودنا إلى ملكوت السماوات وإلى أبيه أيضًا."[٥] بتأليه طبيعة المسيح البشرية يتم تأليه "أولى ثمار طبيعتنا" وخلق جذر جديد قادر على نقل الحياة والخلود إلى جميع الفروع. يشارك كلٌّ من المؤمنين الذين لُقّحوا في نعمة الله وحياته. "ما هو الكائن المخلوق الذي يمكن أن ينال حقًا كل قوة الروح التي لا حدود لها باستثناء من وُلد في بطن عذراء، لأن الروح القدس هو الذي كان حاضرًا، وقوة العلي التي ظللته؟ لهذا نال كل ملء الألوهة. أما بالنسبة لنا، فنحن جميعًا ننال من ملئه."[٦] نظرًا لأن المسيح قد اتّخذ من أمه العذراء مريم طبيعته البشرية، فإن العذراء في نفس الوقت هي أم جميع البشر الذين هم أعضاء في جسد المسيح. بهذه الطريقة يشترك الناس مع الله ويصلّون إلى التألّه في المسيح كأبناء لمريم العذراء. ولهذا السبب، قدم القديس غريغوريوس بالاماس العذراء كنموذج لصعود المسيحي على درب التألّه[٧].

المسيح ليس كاتب مسار التألّه وحسب، بل هو أيضًا دليل الإنسان على طول هذا المسار. يتجلّى مسار التألّه الحقيقي في نسك المسيح الذي بلغ ذروته بموته المتواضع على الصليب، والذي كان وفقًا لمجد الله الآب. إن الإنسان الذي خلق من العدم مدعو إلى إدراك اقتقار نقطة بدايته لكي يعبد الله باعتباره الكائن الشخصي الذي نَبَذ كلّ شيء ولم يأخذ شيئًا لنفسه. بكونه كائناً شخصياً ولا يمتلك شيئًا بمفرده، يمكن للإنسان أن يتلقّى ذاتية الله الخاص ويمتلكها، التي هي نموذجه الأصلي. عندما يقدم الإنسان نفسه للمسيح، يتحول إلى نمط وجود يتوافق مع حياة المسيح.

وهكذا، فإن تألّه الإنسان يفترض مسبقًا إماتةَ أنانيةِ الإنسان. بقدر ما يتخلّى الإنسان عن نفسه من أجل المسيح[٨]، بقدر ما يجابه إرادته لكي يخدم إرادة الله ويميت محبته لذاته من أجل محبة الله والقريب، فهو يساهم في تقدّسه. إنه يعمل على تغيير جوهره الداخلي، وهي عملية لا يمكن أن تتحقق إلا في جسد المسيح، أي في الكنيسة بنعمة الروح القدس. بهذه الطريقة يقبل المسيحي الموت في المسيح ويتغلّب عليه. ما يبدأ كواجبٍ في الإنسان يصبح طوعياً، و"تُعَلَّق الطبيعة باختياره الحر في أن يموت عن طيب خاطر للعالم".[٩] أحد الشيوخ (ستاريتز)، قبل موته مباشرة، سؤل إن كان أراد الموت، فأجاب: "لم أتعلّم التواضع بعد."[١٠] لقد أدرك أنه لم يقتنِ بعد تواضع المسيح الذي لا يوصف. الكمال في التواضع هو الكمال في مواجهة الموت، هذا هو التألّه في المسيح. "الكل يحتاج إلى عبور سر الموت من أجل تحقيق شَبَه أكبر بالمسيح. عِبر هذه العتبة، التي ما زلنا نجهلها، يدعونا إلهنا وأبونا إلى عالم اليوم غير المألوف".[١١]

إن تألّه الإنسان الأناني هو نقيض التألّه في المسيح. فيما يبدو أن الأول مبني على التواضع والنسك، إلا أنه في الواقع متجذر في الاكتفاء الذاتي وتمجيد الذات. إنه تأليه للقوى الطبيعية وعلاقاتها المتبادلة، للقدرات التي يعتقد الإنسان أنه ولّدها بتطوره الأخلاقي والروحي. لكن الإنسان لا يستطيع أن يمنح نفسه أي شيء لم ينشأ مع نفسه. لا يقدر الإنسان أن يقدّم لنفسه ما يفوق طبيعته! الإنسان مخلوق وبالتالي فانٍ. لهذا السبب، التألّه الذي يسعى إليه خارج الله يعمل ضمن الحدود التي وضعها الموت ويظهره الموت ككذبة. ومع ذلك، فإن هذا هو التألّه الذي يفضّله الإنسان عمومًا لأنه لا يتطلب من المرء نبذ العالم ويبدو أنه يقول "نعم" للحياة.

التألّه، كما يعرّفه القديس ديونيسيوس الأريوباغيتي في كتاباته هو "استيعاب واتحاد مع الله قدر الإمكان" [١٢]، هو هبة من الله غير المخلوق للإنسان المخلوق. وكما كتب القديس مكسيموس المعترف "نختبر التألّه بالنعمة، لكننا لسنا علّة تألّهنا، لأنه يفوق الطبيعة. في الحقيقة، ليس في طبيعتنا القدرة على اقتبال التألّه"[١٣] و"لا يمكن لأي مخلوق أن يخلق بطبيعته الخاصّة تألّهه الخاص"[١٤]. إن موهبة التألّه متاحة للإنسان لأن الله قد جاء، في المسيح كإنسان مخلوق في العالم وقدّم جسده الذي هو الكنيسة. عمل المسيح هو عمل الثالوث الأقدس. بما أن الله واحد من ثلاثة، كذلك عمل الثالوث الأقدس واحد من ثلاثة. في المسيح يلخص الله الإنسان ويقوده إلى مجد مملكته. يتجلى هذا في حياة المسيح، ولا سيما في تجليه وصعوده.

يحتلّ تجلي المسيح مكانة مركزية في اللاهوت والعبادة الأرثوذكسيين. إن تفسيره الصحيح هو أمر حاسم لفهمٍ دقيقٍ للتعاليم الأرثوذكسية عن التألّه. بحسب التقليد الأرثوذكسي، لم يكن التجلي تغييرًا مؤقتًا في شخص المسيح، ولم يكن ظهور إشعاع معين لم يكن موجودًا من قبل. بل بالأحرى، كان التجلي القدرة التي مُنحت للرسل على رؤية المجد الطبيعي لألوهية المسيح، ولكن بشكل جزئي، هذا المجد الذي كان موجوداً منذ البداية في شخصه الإلهي البشري. كتب القديس يوحنا الدمشقي: "لقد تجلّى، ولم يتلقَّ شيئًا لم يكن لديه، بل أظهر نفسه للتلاميذ على حقيقته، وفتح أعينهم وجعل الأعمى يبصر" [١٥].

من ناحية أخرى، بصعود المسيح يتحقق بالكامل عمل التدبير الإلهي وتأليه الإنسان. صعود المسيح، كما في حياته الأرضية كلها، لا يؤثّر على الفرد وحسب، بل يظهِر خصوصية ومصير الإنسان المتجدد: "ما صار الرب إليه، صاره من أجلنا... والحياة التي عاشها، عاشها من أجلنا ... بالنسبة لنا، لقد قام وصعد

إلى السماء، مُجهزًا قيامتنا وصعودنا إلى الدهر والأبد."[١٦] صعود المسيح يحرر الطبيعة البشرية من قَيْدها إلى الحاجة ويرفعها إلى مجد الله الآب بنعمة الروح القدس: "أقامنا الله مع المسيح حتى تموت خطايانا... لقد أقامنا من بين الأموات، وقد أُعطِينا مكانًا في السماء بيسوع المسيح"[١٧].

تعلّم كتابات آباء الكنيسة أن المسيح هو مؤلّف الخليقة وموجِزها: "كل شيء به كان"[١٨]. عند تحليل هذا المقطع، يلاحظ القديس نيكولاس كاباسيلاس: "لقد تمّ بالفعل تكوين الطبيعة البشرية منذ البداية في توقّع الإنسان الجديد؛ وفي ضوء الإنسان الجديد أيضًا، تكوَّن العقل والرغبة؛ عندنا عقل حتى نعرف المسيح، ونرغب في أن نركض إليه، وقد منحنا الذاكرة لننتبه إليه، لأنه النموذج الأصلي لخليقتنا. في الواقع ، ليس آدم القديم نموذجَ الجديد، بل آدم الجديد هو نموذج القديم"[١٩]. من دون شك، تكميل الإنسان والكون يكمن في المسيح. كل جهاد بشري خريستولوجي في التحليل النهائي، على الرغم من الاختلافات والتنوعات، على الرغم من الفشل والانحرافات. يسعى الإنسان وراء المسيح بالعقل والإرادة معاً، بالذاكرة والخيال. ولكن، مثل آدم، يضلّ الإنسان عندما يحاول أن يدرك مهمته في الوجود الحقيقي باتّباع نموذج الإنسان الأول الذي سقط. والنتيجة هي تحريف للإنجاز الذي يتوق إليه الإنسان حقًا. إن إدراك الإنسان، الذي يرتبط بالتألّه، غير ممكن بدون المسيح الإله الإنسان. ومع ذلك، لكي يتحقق في المسيح، يجب على الإنسان أن يساهم بإيمانه وجهوده. إن الإنسان مدعو لتقديم نفسه للمسيح والتعاون بالنعمة الإلهية حتى يتحقق كماله الأخلاقي والروحي. بدون هذه الشروط المسبقة، لن يكون تألّه الإنسان ممكنًا. إذا كان تأليه الذات هو سبب خطيئةٍ للإنسان بدون المسيح، فإن سبب الخطيئة بالنسبة للمسيحي كان ولا يزال هو الفشل في التعاون مع نعمة الروح القدس المؤلِّهة التي يقدّمها الله في المسيح. وعلى الرغم من أن الإنسان الذي يخطأ دون أن يسمع عن المسيح وكنيسته قد يحاول أن يبرر نفسه لأنه يصل إلى شيء أعلى مما يبلغه الآخرون من حوله، فإن المسيحي يشعر بالثقل الكامل والواقع المأساوي لخطيئته بشدة أكثر من غيره لأن السمو الذي تَعِد به الخطيئة هو في الواقع بعيد المنال.

يميّز تقليد الكنيسة ثلاث مراحل في التقدم نحو الكمال الروحي: أ) التطهّر، ب) الاستنارة ، ج) التألّه. في المرحلة الأولى، يجاهد المؤمنون لتطهير نفوسهم من الأهواء. في المرحلة الثانية، تدرك أذهان المؤمنين أفكار الكائنات التي تقود إلى الكلمة. والمرحلة الثالثة هي الاتحاد الصوفي للمؤمنين بالله، أي التقديس[٢٠]. يجب ألا يُفهم التمييز بين المراحل الثلاث بطريقة آلية، بل يجب أن يُفهم على أنه صورة لتقدم الإنسان في الحياة في المسيح. علاوة على ذلك، وبفضل الله، يمكن لشخص واحد أن يصل على الفور إلى مرحلة معينة يفشل الآخرون في بلوغها بعد جهادات طويلة. لهذا أهمية خاصة بالنسبة للمؤمنين، فالتحول إلى وعاء للنعمة الإلهية هو السعي بلا هوادة من أجلها. ليست النعمة الإلهية متاحةً للمؤمنين كهدية مخلوقة. يقيم الله غير المخلوق علاقة شخصية مع الإنسان الذي يشارك في نعمة روح الله غير المخلوقة. هذا لا يعني أن نعمة الروح القدس يمكن امتلاكها على طريقة شيء مادي ما في العالم أو بعض التجريد في العقل. لا، لا يمكن حماية نعمة الروح القدس إلا من خلال الحفاظ على الشركة مع الله الثالوث. يتواصل الإنسان بنعمة إلهية غير مخلوقة؛ هو ليس متلقيًا سلبيًا للهبات الإلهية. بالاشتراك في نعمة الروح القدس غير المخلوقة والعيش كعضو في جسد المسيح الكنسي، يظل الإنسان في شركة مع الله الشخصي في الثالوث ومع إخوته من البشر. تنعكس هذه الحقيقة بشكل طبيعي في الحياة اليومية للمؤمنين. وبقدر ما تتحقق هذه الحياة في المسيح وجسده، تشرق حقيقة وأصالة حياة المؤمنين.

من المؤكد أن الروح موجود في كل مكان وليس بعيدًا عن أي شخص. لكن الأشخاص الخاضعين للخطيئة يبتعدون عن روح الله بسلوكهم: "لأن الخطيئة هي الابتعاد عن الله، لا من حيث المكان بل بالأحرى بطريقة الوجود"[٢١]. لإظهار قوة الروح القدس، من الضروري الحفاظ على الطهارة الأخلاقية. "لأن الروح القدس حاضر للجميع"، كما يلاحظ القديس باسيليوس الكبير، "أما بالنسبة للمتطهرين من الأهواء، فهو يكشف عن قوته التي يتلقّاها بوفرة أولئك الذين حزنوا على لوث خطاياهم"[٢٢]. وعلاوة

على ذلك:"الحياة غير المنظمة غير صالحة لتلقي القوة الإلهية"[٢٣]. النجاسة الأخلاقية تُظلِم الإنسان وتجعله غريبًا عن نعمة الروح القدس[٢٤]. لهذا، الفضيلة هي شرط لا غنى عنه للحياة الروحية. بدون الفضيلة لا يمكن للإنسان أن يصبح وعاءً للروح القدس: "لهذا يطلب منا أن نكافح ببسالة من أجل عطية النعمة، لأن عطية النعمة تُمنح بقدر ما يشارك المرء في آلام الذين يتألمون. إن النعمة حقًا هي التي تعطي الحياة الأبدية وفرحًا لا يوصف في السماء، ومحبة الألم من أجل الإيمان هي التي تجعل المرء مستحقًا أن ينال عطايا النعمة والفرح"[٢٥].

ترفع نعمة الروح القدس إلى الكمال محبة الإنسان لله والقريب عندما تُعلَن له. من سمات التقليد الآبائي أن الفضائل المسيحية الأساسية الثلاث - الإيمان والرجاء والمحبة - ترتبط بمراحل التقدم على التوالي في الحياة الروحية الثلاث. وهكذا فإن الإيمان والرجاء مرتبطان بالمرحلتين الأوليين، بينما المحبة مرتبطة بالمرحلة الثالثة، مرحلة التألّه[٢٦]. لا شيء يجعل الإنسان أكثر تقبّلاً لنعمة التقديس من المحبة. والدليل الواضح على وجود النعمة المؤلّهة في الإنسان هو كثرة محبّته التي تتجلّى في محبة القريب[٢٧].

إن الله، الذي تملأ حياته الإنسانَ بالتألّه، ليس فردًا واحدًا، بل ثلاثة أقانيم في شركة. وصورة الله لا يقتصر أثرها في الإنسان على الأخير كفرد، بل تمتد إلى كل الطبيعة البشرية وتغطي كل التعامل الاجتماعي والشخصي. إذن، ليس التألّه عملاً أو امتيازًا للفرد، بل هو حدث كنسي. التألّه هو نتيجة جهود المؤمنين نحو الكمال كأعضاء في جسد المسيح، أي الكنيسة، ولهذا السبب يُشار إليها باسم "شركة التقديس"[٢٨].

ليست شركة التألّه نظامًا للمبادئ ولا هي مؤسسة، فهي ليست سلسلة من القيم الموضوعية، ولا هي شيء يمكن تجسيمه. شركة التقديس هي شركة أشخاص. وبما أنها شركة أشخاص، فهي شركة محبّة وحرية، شركة عطاء وكمال مطلق على الصورة الإلهية وبمشاركة الله الثالوثي. ليس الشخص عكسَ المجموعة والمجموعة ليست خاضعة للشخص. حقيقة الموهبة لا تقلل من ملئها، لأن هذا الملء هو عنصر أساسي في الموهبة. إنه ملء لا كمسألة كميّة، لأنه لا يمكن قياسه. الفرادة في التعددية والتعددية في الفرادة.

يجمع الثالوث الكبير وغير القابل للانقسام الإنسانَ في المجد الإلهي بدافع المحبة و "عمل الصلاح". ثيوفيلوس الأنطاكي صاغ هذه الحقيقة بإيجاز: "الله، الكلمة، الحكمة، الإنسان"[٢٩]. في هذه الشركة الإلهية البشرية، يوجد اختلاف جوهري، على الرغم من أنه في التحليل النهائي، الله والإنسان منفصلان، أي هناك فرق بين المخلوق وغير المخلوق لا يمكن إلغاؤه. الله غير مخلوق ويبقى. لكن الله غير المخلوق، يتّخذ ويؤلّه الطبيعة البشرية المخلوقة في المسيح بنعمة الروح القدس، يتّخذ ويؤلّه الإنسان بأكمله بنعمته غير المخلوقة في شركة التقديس. وأيضًا، فإنّ كل ما أُعطي للطبيعة البشرية في المسيح ينتقل إلى جميع الأشخاص الذين يقبلون المسيح ويعيشون كأعضاء في جسده. يصير الإنسان مثل المسيح. ولكن بينما المسيح هو "الله بالطبيعة" و"الإنسان حسب الصلاح"، يظل الإنسان "إنسانًا بالطبيعة" ويصبح "إلهًا بالنعمة"[٣٠].

إن تألّه الإنسان، الذي يحدث في الكنيسة كشركة تألّه، ذو طابع أخروي. و"مؤسسات الكنيسة"، كما أشار القديس باسيليوس الكبير، ترشد المؤمنين إلى الابتعاد باستمرار عن روح "الزمان الحاضر" والتوجّه نحو "الآتي"[٣١]. يتجلّى ملء التألّه في المقطع "من نعمة الإيمان إلى النعمة الظاهرة"[٣٢]، بحيث يُقابل الله "وجهًا لوجه"[٣٣]. ولكن بالفعل خلال فترة "نعمة الإيمان"، وهي مرحلة هذه الحياة الحاضرة، يتمتّع المؤمنون باختبار "النعمة بالنظر". يكتب القديس يوحنا الدمشقي: "لأننا الآن أبناء الله وما سنكون لم يظهر بعد. نحن نعلم أنه عندما يأتي هذا الوقت سنكون مثله، وسنراه كما هو "[٣٤]. الحياة في المسيح اختبارية. يصِف القديس سمعان اللاهوتي الجديد فكرة إمكانية أن يحصل المؤمنون خلال الحياة الحالية على نعمة الروح القدس "بدون معرفة" أو "عن غير قصد" بأنها عدم إيمان وتجديف. وكما يشير، إذا كانت مواهب الروح القدس "تتحقق فينا بدون علمنا، بدون شعورنا بأي شيء، فمن

الواضح أننا لا نَعِي الحياة الأبدية التي تتدفق فينا وتبقى في داخلنا، ولا نحن نعاين نور الروح القدس، بل على العكس نبقى أمواتًا وعميانًا وعادمي الحسّ، في البداية وفي الحاضر. لذلك، يكون باطلاً هو رجاؤنا وتعبنا عديم الفائدة، لأننا نعيش في الموت ولا ندرك الحياة الأبدية".

إن مجد الله يُختَبَر في هذه الحياة، لكنه يفترض مسبقًا طهارة قلب الإنسان:"قال المسيح أن أَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ يُعَايِنُونَ اللهَ "[٣٥]. "لا شكّ أنه عند بلوغ الطهارة تتبع المعاينة... إذا تحققت هذه الطهارة بالفعل في الآن وهنا، فإن معاينتها موجودة هنا والآن، ولكن إنْ قلتَ إن المعاينة لا تتحقق إلا بعد الموت، فإن هذا التطهّر يكون فقط في الآخرة، وهكذا لن نبلغ معاينة الله أبدًا، لأننا بعد الموت لن نكون قادرين على السعي في الطهارة"[٣٦]. مَن يختبر مجد الله يتجلّى. يصبح مثل الإله بالكامل. يعيش الله غير المخلوق ويعمل في طبيعة الإنسان المخلوقة. كما لاحظ القديس غريغوريوس بالاماس: " يحيا المسيح ويتكلّم في بولس مع أن بولس هو الذي يحيا ويتكلّم. وبنفس الطريقة يعمل بطرس الموت ويعطي الحياة، مع أن الله والله وحده يهِبُ الحياة وينزعها"[٣٧]. ما يتبع ذلك هو أن الإنسان المؤلَّه لا يفتخر بفضائله وأعماله الصالحة. أفعال وفضائل كلّ واحد هي في النهاية نتيجة النعمة الإلهية التي تعمل فيه[٣٨].

يصير الإنسان المتألّه نوراً للعالم[٣٩]. يتلقى النور وينشره. ليس له نورٌ متولدٌ ذاتيًا، بل هو يتلقّى النور. هو ليس مصدره، بل هو متلقّيه ومرسِله. من دون توقّف عن كونه إنسانًا مخلوقًا، هو ينال بالنعمة كلّ ما هو لله غير المخلوق[٤٠]. وهكذا يتقدم الإنسان نحو الكمال اللامحدود واللانهائي. بما أن الله غير محدود، فإن تطور الإنسان المحتمل أيضًا هو بلا نهاية[٤١]. كونه صَديقًا لله وإلهاً بالنعمة، فالإنسان إلى حد ما حرّ من حدود المكان والزمان. إنه يصير "بلا بداية ولا نهاية، يكفّ عن سلوك حياة مقيّدة بالزمن ولا يعود يرتبك بتقلبات الحياة، بل يسلك في حياة أبدية إلهية لا يطغى عليها الموت لأن في داخلها يعيش الكلمة[٤٢]. على هذا المنوال، التألّه، الذي يبدأ بتألّه الطبيعة البشرية للمسيح، يُمنَح كهدية لكل إنسان. تتجلى هذه الهبة بنعمة الروح القدس في مجرى الحياة الحاضرة وتتجلى في كمالها في الحياة الآتية. لا يتحوّل الفرد وحدة حسابية من أجل إظهار الكل، بل ينكشف كفريدٍ غير قابل للاستبدال. في الفرد، يُقدَّم الملء ويظهر. إنه سر الإله الثالوثي وعطيّته: "كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي... وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ"[٤٣].

تشير محاولة الإنسان لتأليه ذاته إلى اتجاه مخالف تمامًا للتألّه في المسيح. ومع ذلك، فإن تأليه الذات هو اتجاه غالبية البشر. لا يسعى المتألّهون إلى أي نوع من الموهبة، بل يرغبون في فكرة موارِبة تلخّص كل الإنجازات البشرية الممكنة. يُستخدَم الأشخاص كوحدات حسابية للتعبير عن الكل. وبتأليه الكلّ هذا، تختفي حرية الفرد وفرادته. في الواقع، تأليه الذات هو فلسفة الإنسان الخارق وهو يطابق أشكال الشمولية المختلفة التي في ظلها وجدت نفسَها حضارتنا مقيدة.

اليوم قد وصل سعي الإنسان الجبّار إلى تأليه الذات إلى طريق مسدود. بتغريب الشخص البشري وتحويله إلى مجرد رقم وترس مجهول في آلة معقدة وغير شخصية وغير قابلة للسيطرة، فإن الدافع إلى تأليه الذات يقود العالم نحو الاغتراب والفناء. يتقدّم الصنم الذي ضحّى من أجله الإنسان بأهدافه الشخصية ليبتلع الجنس البشري بأكمله. في مواجهة هذا المأزق الرهيب، تكرر الكنيسة، بقوة وبطريقة ثابتة، تعليمَها الأبدي عن تألّه الإنسان في المسيح. التألّه لا يتمّ بتدمير الشخص. يتحقق التألّه بالإدراك الكامل للإنسان كصورة لله من خلالها تستعلن حقيقة مطلَقَة غير محدودة، بلا بداية ولا نهاية، عن حياة الله وكينونته. يتحقق هذا التألّه دائمًا مع الأعضاء الآخرين في الكنيسة التي هي حقًا جسد المسيح وأيقونة الثالوث القدّوس.

باسم الآب والابن والروح القدس. آمين.

[1] Originally published as “LA DÉIFICATION DE L’HOMME,” Contacts 40 (1988): 6-18.
[2] Aristotle, Politics II, 1267 B, 3-5.
[3] Chapitres divers 1.42, PG 90.1193 D.

[4] St. Athanasius the Great, On the Incarnation 54.3, PG 25, 192 B.
[5] Against the Arians, 2.61, PG 26.277 B.
[6] St. Gregory Palamas, Defense of the Holy Hesychasts 3.1.34, trans. J. Meyendorff, Paris 1959, p. 624. Cf. Colossians 2.9 and John 1.16.
[7] Cf. Phil. 11.9, Ephesians 1.21.
[8] Cf. Matthew 10.39; Luke 14.26.
[9] St. Maximos the Confessor, On the Our Father, PG 90.904 A.
[10] Cf. Archimandrite Spohrony, Voir Dieu tel qu'il est, Geneva, 1984, p. 82.
[11] Ibid., p. 49.
[12] St. Dionysius the Areopagite, On the Ecclesiastical Hierarchy 1.3, PG 3.376 A.
[13] St. Maximos the Confessor, Chapitres Divers 1.55, PG 90.1209 C.
[14] Chapitres Divers 1.74, PG 90.1212 A.
[15] Homily On the Transfiguration 12, PG 96.564 C.
[16] St. Gregory Palamas, Homily 21, PG 151.277 AB.
[17] Ephesians 1.5-6.
[18] Colossians 1.16.
[19] The Life in Christ 6, PG 150.680 AB.
[20] For more details on the stages of progression toward spiritual perfection, cf. K. Rahner, "Über das Problem des Stufeniveges zur christlichen Vollendung," in Schriften zur Theologie, tome 2. Einsiedeln, 1956, pp. 11-34.
[21] St. Photios the Great, A Amphilique 170, PG 101.865 A.
[22] St. Basil the Great, Commentary on Isaiah, preface 3, PG 30, 121 C.
[23] Idem., PG 30, 124 A.
[24] "Indeed the energy, grave and divine power present everywhere is imparticipable and is as absent for those who by their impurity are unfit to receive the light." St. Gregory Palamas, Against Akindynos 5.27.118, ed. P. Chrestou, Gregory Palamas, vol. 3, p. 37.
[25] St. Gregory of Nyssa, On the Plan of God, ed. W. Jaeger, vol. 8.1, p. 46.
[26] Cf. St. Maximos the Confessor, Chapitres divers 5.93, PG 90, 1388 CD.
[27] St. Maximos the Confessor, Mystagogy 24, PG 91, 713 A.
[28] Cf. St. Gregory Palamas, Apodictic Treatise 2.78, Works, vol. 1, p. 149.
[29] A Autolycus 2.15.
[30] St. Symeon the New Theologian, Ethical Treatises 10.731-33, ed. J. Darrouzè, Sources Chrétiennes vol. 129, p. 313.
[31] On the Holy Spirit 66, PG 32, 192 C.
[32] St. Maximos the Confessor, Mystagogy 24, PG 91, 713 A.
[33] I Cor. 13.12.
[34] I John 3.2.
[35] Matthew 5.8.
[36] St. Symeon the New Theologian, Ethical Treatises 5.115-25, p. 89.
[37] On the Divine and Deifying Communion 20, Works, vol. 2, p.154.
[38] "Any virtue we possess is found in us because God works it in us." St. Gregory Palamas, Homily 33, PG 151.416 D.
[39] Matthew 5.14.
[40] "All that belongs to God belongs also to deified man by grace without him being one with God's essence." St. Maximos the Confessor, Questions to Thalassios 61, Commentary 16, PG 90.44 D.
[41] Cf. St. Gregory of Nyssa, Life of Moses, PG 404.44 A.
[42] St. Maximos the Confessor, Ambigua, PG 91.1144 C.
[43] John 17.10, 22-23.

الطبيعة الاجتماعية للهدوئية النسكية*

د. يوحنا كورنوراكيس+
نقلها إلى العربية الأب انطوان ملكي

إن موقف المتنسكين تجاه تقلبات الحياة البشرية يثير مجموعة متنوعة من ردود الفعل المتضاربة في نفوس الأشخاص ذوي التوجهات التقنية اليوم. بادئ ذي بدء، إن الأشخاص المعاصرين الذين يدينون بلا هوادة موقف النسك الصارم هذا قد يندهشون تمامًا إذا حللوا سلوكهم الاجتماعي. إذ، كما يخبرنا علم النفس، إذا حارب الناس بشدة شيئاً ما، إذا رفضوه باستمرار، فلهذا علاقة بعالمهم الداخلي. العداء كوظيفة مهووسة يؤكد ارتباط الناس بالشيء الذي يهاجمونه. لذلك بقدر ما تبدو عزلة حياة النسك قاسية في أعين الناس اليوم، تزداد الخيانة لعلاقة أكثر عمقاً مع هذه العزلة ذاتها. هذا كافٍ ليجعلك تتساءل عما إذا كان الناس، بإدانتهم للعزلة النسكية، يدينون فعليًا عزلتهم التي يخفونها دون وعي في أعماق شخصيتهم. قد تؤدي الوظيفة النفسية للقمع وإسقاط المشكلات النفسية اللاواعية إلى قيام الناس بتوضيح المواقف المشوشة التي يغلقون عليها داخل أنفسهم.

في حين أن المسار الخارجي لنفسية الأشخاص ذوي التفكير التقني اليوم قد يكون طارداً من المركز، أي منفتحاً، فإن الجزء الباطن من شخصيتهم يعاني من تراكم الرغبات المكبوتة ذات الطبيعة الجاذبة، أي الانطوائية. لذلك عندما يكون الناس متلهفين لإدانة قسوة العزلة النسكية، فإنهم في الواقع "يتحدثون" مع الجزء اللاواعي من شخصيتهم، بميلهم المكبوت نحو الانطوائية. ولأنهم يقمعونها، فهذا يعني أنهم يكرهونها، لأن هذا هو ما يفرضه التوتر المنفتح في الأعراف الاجتماعية اليوم. لكنهم أيضًا يرغبون في ذلك، لأنهم يفهمون بشكل لا شعوري وظيفته التعويضية.

على أي حال، مَن الذي طبع في شخصية الناس، كإنذار نهائي، الفكرةَ القائلة بأن الميل الاجتماعي كان صفةً أصيلة وطبيعية؟ من الصحيح، بالطبع، أن قشرةَ الحياة العصرية ذات طبيعة اجتماعية مكثفة. ولكن مَن يستطيع أن يكفل أصالة تلك الطبيعة؟

الأحداث اليومية التي لا يمكن إنكار مأساويتها تقدّم بسهولة في الحياة الحديثة أدلةً وفيرة على عزلة الناس المؤلمة اليوم. لقد أنتج التقدم التكنولوجي ميولاً اجتماعية هي، في الواقع، "تقنية" بمعنى أنها اصطناعية أو ميكانيكية، وفي كثير من الحالات، تضعِف المشاعر الإنسانية وتقلّل من العلاقات الشخصية إلى ما لا يمكن إصلاحه. إن القساوة المعاصرة، واللامبالاة تجاه الأخ، ومعدل الجريمة، والبلادة الأخلاقية والعديد من العناصر التي تسبب التآكل في حياة الإنسان، تؤكّد بشدة على الجانب المبغِض للبشر في الاجتماعيات الحديثة. لذا، إذا بذل الناس اليوم جهدًا لتصفية حالتهم المشوشة، فإن هذا يتحوّل إلى تمرين في معرفة الذات يحطم الرموز الخاطئة والأوهام العامة لتآلفنا "الاجتماعي". إن الناس إذ يدركون تقنيًا اليوم، على الرغم من إدانتهم للعزلة النسكية، يسعون دون وعي إلى الرضا الذي تمنحه هذه العزلة للنساك. وعلى الرغم من تفاخرهم بضميرهم الاجتماعي، إلا أنهم حتمًا أكثر من مدركين لعزلتهم المأساوية. لهذا السبب، اليوم، على الرغم من أنهم يَبدون اجتماعيين، إلا أنهم في الواقع "يبتعدون عن الناس". إن الصراعات التي يسترونها في داخلهم تجبرهم على الدخول في عزلة معادية للمجتمع. لذا فهم غير ناضجين للتخاطب مع الناسك الذي يعيش كهدوئي ولا هُمْ في موقع يسمح لهم بإدانة القرار الحازم بالهروب من حبائل وسهام الدهر. وبالتالي، فإن الاجتماعيات، التي يحكمون باسمها على "تجاوزات" النسك، هي وسيلة للخروج من العزلة التي يبحثون عنها في نفس الوقت.

من ناحية أخرى، فإن للعزلة النسكية محتوى اجتماعي أصيل يمكن أن يعلّم الناس المعاصرين الكثير، إذا كانوا يرغبون في تعلّم المزيد عن معرفة أخيهم. إن الهروب النسكي من اضطراب الوجود البشري هو أعمق تعبير عن الاجتماعية المسيحية. بالتأكيد، ينطوي هذا الادعاء على تناقض ظاهري لكنه صحيح.

"الفردية" النسكية هي تجربة التفاني الأصيل لمحبة الإخوة والأخوات. هذه اللاعقلانية النسكية يفهمها، إلى حدٍ ما، أولئك الذين يعرفون، حتى من دون عمق، تجربة "حياة الصمت". في الحقيقة، الناسك في الصحراء، عاشق الصمت، هو النموذج المثالي للأخ.

ما يشتهيه الناسك أساسًا هو بالطبع اختبار الحضور الإلهي. يهدف نسكه إلى تطهير روحه ونوسه من كلّ ما يعيق أو يحبط هذا الجهد. محبة القريب، "محبة الأخ"، يفهمها الزاهد على أنها ثمرة ثمينة للاختبار الصوفي للآلام الإلهية. فقط عندما يمتلئ قلبه وعقله من حضور الله ومحبته، يكون قادرًا على أن يحبّ أخاه بمشاعر حقيقية من الإخلاص، وحتى إذا لزم الأمر، للتضحية بالنفس. إذا كانت "فريضته" الأساسية باختبار الاتحاد مع الله مضطربة أو مُعوقة، لا يكون الناسك قادراً على أداء واجب المحبة تجاه قريبه، على الرغم من أن هذا بذاته هو ما تتطلبه محبة الله في الواقع. لهذا السبب، على الرغم من أن الناسك لا يتوقف أبدًا عن التعبير عن المودة الأخوية لأخيه، يكون أكثر انفتاحًا في تصريحاته عن المحبة الأخوية والتفهّم عندما يكتسب القداسة والفضائل بمقدار أكبر.

"عندما يأتي الناسك للقاء العالم، تتقلّص روحه"، هذه تجربة مؤكّدة لا جدال فيها. من ناحية أخرى، "كلما ابتعد الناس عن التحدث مع الآخرين، كلما زادت في نوسهم الجرأة أمام الله". هذه التجربة بالتحديد هي المرشد لسلوك الناسك تجاه التقلبات البشرية أو العلاقات الإنسانية كما يفهمها الناس اليوم.

لذلك لا تستطيع التركيبة المنطقية للروح الدهرية أن تفهم أنه حتى في الحالات التي يتجنب فيها الناسك الحديث مع الآخرين يكون هناك استجابة أساسية من المحبة والتفاني تجاههم. إذا كان النساك يتجنبون الناس "من أجل الله"، وإذا كان الله محبة، فإن اختبار حضور الله كمصدر لا ينضب من المحبة الحقيقية، سيمكّن النساك من محبة أقربائهم "محبة إلهية".

وأيضًا، في حالة المودة الأخوية، نواجه "اللاعقلانية" النسكية ونمط سلوك "متناقضًا" نفسيًا وروحيًا. يسأل القديس إسحق: "أتريد أن تكتسب في نفسك محبة قريبك حسب وصية الإنجيل؟ أبعِد نفسك عنه وعندها ستشتعل شعلة المحبة في داخلك وسوف يفرح برؤيتها كما يفرح لرؤيته ملاك نور". الابتعاد عن الأخ ينمّي المحبة كما في الإنجيل، داخل نفس الناسك. ونحن نتعامل هنا مع تناقض وجودي يطال على أقوى الأسس الانسجامَ النفسي والروحي الذي هو شرط أساسي للاجتماعيات الأصيلة. "كن صديقًا لجميع الناس ولكن كن وحيدًا في فهمك". يجب على الناسك في الصحراء أن يحبّ الناس جميعًا، ليمنحهم عواطفه وقلبه، وفي نفس الوقت يجب أن يعيش عزلته التي بدونها لا يستطيع مقابلة الله. "كن شريكًا في آلام الجميع، وكن غريبًا عن كل مَن في الجسد".

في هذا التناقض الوجودي النسكي نواجه التوازن الداخلي الذي عليه تقوم أقوى أسس الاجتماعيات الصحيحة. في كثير من الأحيان، الأشخاص ذوو التفكير التقني، الذين يتباهون بكونهم اجتماعيين، لا يختبرون أي توازن اجتماعي داخلي. فلكونهم اجتماعيين من جانب واحد، أي منفتحين بشكل كثيف، يتمّ استيعابهم في الكلّ الاجتماعي وبالتالي يفقدون فرديّتهم. إذن كيف يمكن للأشخاص الذين يعانون من التشظي الاجتماعي اختبار المحبة الحقيقية لأخيهم، وقد فقدوا وحدتهم الداخلية؟ إذا فعلوا ما يفعلونه لمجرد الظهور بمظهر الصلاح وليس لأي سبب آخر على الإطلاق سوى الاجتماعيات، فكيف يمكنهم إظهار مشاعر المحبة العفوية؟ تؤكد العلوم الأنثروبولوجية ذات الصلة وجود عزلة مُحكَمة يعاني منها غالبية الناس المعاصرين، وبهذه الطريقة تخون جودة محتوى السلوك الاجتماعي الذي يظهره هؤلاء الأشخاص. إن تجربة الفردانية، كتجربة للوحدة والتوازن الروحيين، هي وحدها ما يمكن أن يخلق سلوكًا اجتماعيًا حقيقيًا ويحافظ عليه. إن الأشخاص المحطمين والمتشظّين داخليًا، بسبب مجموعة متنوعة من الصراعات النفسية، لا يستطيعون التعبيرَ عن أنفسهم اجتماعيًا، لأنهم لا يعجزن عن "مقابلة" المجتمع ككل ولا يمكنهم الانخراط في حوار مع وحداته البشرية الفردية.

على الرغم من أنه يعيش بعيدًا عن الآخرين، إلا أن ناسك الصحراء، من ناحية أخرى، بتوازنه "الاجتماعي" الداخلي، مغمور بالمحبة تجاه أخيه. يقول القديس إسحق: "نحن نعلم، أنه بدون محبة القريب لا يمكن أن يستنير النوس بالكلام أو بالمحبة الإلهية". إن مطلب الاتحاد بالله هو مطلب من أجل "المجتمع" لأنه يتعلّق باختبار العلاقة الشخصية البارزة، أي تلك التي مع الله الثالوث. وبالتالي، في بيئة هذا المجتمع الروحية، محبة المرء لقريبه هي وجود حيوي. على أية حال، كيف يمكن للناسك أن يختبر مثل هذا المجتمع بنفسه؟ إذا كان حقاً قد انقطع عن أخيه، فعندئذ لا يمكن أن "يستنير عقله من خلال الكلام أو الحب الإلهي". لهذا السبب، الناسك يحب أخاه من دون تأثّر، وفي الصحراء حيث يعيش، يعبّر عن الاجتماعية الحقيقية.

يتمّ التعبير عن المحبة العملية للأخ أولاً وقبل كل شيء من خلال دعم المشكلة الأساسية للحياة: تجربة الشعور بالذنب. "لا تكرهوا الخاطئ، لأننا جميعًا مسؤولون. وإذا تقدمت إليه من أجل الله فصلِّ من أجله". وليس هذا فقط بل "افردوا ثيابكم على الفاجر وغطّوه". ويتابع القديس إسحاق أن إن لم تستطيع أن تأخذ خطاياه على عاتقك، وتختبر عار الذنب نيابة عنه، على الأقل لا تنظر إليه بازدراء، لأنه أخوك. يرى الناسك في الصحراء أنّ في العلاقات بين الأفراد وبين البشر، يجب أن نظهر محبة عميقة وغير متأثرة قادرة على تغطية كل ضعف أخينا. لذلك إذا كنت تحب، فأنت لا تنفع قريبك وحسْب، بل تشفي روحك في نفس الوقت. ولكن إذا أنت أدنته، فأنت تفرك الملح في الجراح.

في هذا الفكر النسكي، يمكن للناس المعاصرين رؤية جانب المحبة الناشط. المحبة هنا ليست انفجارًا عاطفيًا بشكل فعال مع شخصية سلبية أو محايدة. إنها، قبل كل شيء، علاقة ناشطة متبادلة، سِمَتها الخاصة هي أنه بقدر ما يُعبَّر عنها يزداد شفاؤها لنفسها. إذا كنت تعرف كيف تحترم ضعفات أخيك، فأنت تبدأ باختبار مباشر لاحترام الذات. بقدر ما تكون لطيفًا تجاهه "يُشفى شرّك". هنا بالضبط حيث يتمّ التأكيد بشدة على القيمة البناءة للعلاقة بين الأفراد: التقدم الروحي ممكن فقط مع التبادلية الاجتماعية. حتى لو كنت منعزلًا في أقسى الصحارى، فلا يمكنك أن تنفصل عن اختبار المحبة الأخوية التي هي بنّاءة ومنوّرة، طالما أن هذه المحبة الأخوية لا تقطع محادثتك مع الله. في كل الأحوال الأخرى، لا يستطيع ناسك الصحراء إلا أن يعبّر عن عاطفته العميقة تجاه مجتمع أخيه.

إن موقف الناسك من المحبة الأخوية ليس درسًا للآخرين على الإطلاق. الناسك في الصحراء لا يمجّد هذه المحبة ليحثّ الآخرين على البحث عنه بينما يظل هو نفسه محاصرًا في هدوئه التام. "كثير من هؤلاء (النسّاك) أعطوا أجسادهم للحيوانات البرية، للسيف أو للنار من أجل أخيهم". لذلك، العديد من روايات النسك، تقدّم لنا ثروة لا توصف ومدهشة من المحبة الأخوية النابضة بالحياة.

كان أبّا أغاثون معروفًا بإظهاره للمحبة الأخوية ولم يكن يستطيع الراحة إن لم يكن قادرًا على فعل أي شيء مفيد لأخيه. كان مستعداً لفعل أيّ شيء لأخيه: "أردت أن أجد مشلولًا لآخذ جسده وأعطيه جثتي". "هل رأيت المحبة الكاملة؟"

يروي الآباء النساك كيف زار القديس مكاريوس أخًا مريضًا وسأله أثناء وجوده إن كان بحاجة إلى شيء. فأجاب المريض: "بعض من الخبز الطري". في أخوية الرجل الرهبانية، كانوا يخبزون مرة واحدة في العام ويبدو أن العاجز لا يستطيع التعامل مع الكعكات الصلبة. "وقف الرجل الفاضل في الحال، وعلى الرغم من أنه كان في التسعين من عمره وانطلق من إسقيط الأخ المريض شاقّاً طريقه إلى الإسكندرية. وعندما استبدل الخبز القاسي بالخبز الطري، أحضره إلى الراهب المريض مشياً على الأقدام". هذا يبرهن تمامًا جوهر الحياة النسكية.

عن الأبّا أغاثون: "رجل أكثر خبرة من أي راهب آخر في عصره، كان يكرّم الصمت والهدوء فوق كل شيء"، أخبروا عنه القصة التالية: "عندما حان الوقت لإقامة سوق في البلدة المجاورة لإسقيطه، ذهب القديس لبيع عمله اليدوي لشراء كعكاته الجافة لتلك السنة. لكنه صادف أنه التقى في السوق ’غريبًا، متروكاً ومريضًا’. فانتهز الفرصة ليثبت ثروته من المحبة الأخوية وأخذ الرجل تحت رعايته. فاستأجر

مكانًا ليعيش فيه وأعطاه مأوى، مع مراعاة كل احتياجاته لإعادته إلى صحته في أسرع وقت ممكن. في نفس الوقت عمل 'بيديه' لتغطية تكاليف هذا الدعم للمريض. وفي ستة أشهر استعاد الرجل صحته وعاد القديس إلى حياة الهدوء. هذه هي المحبة الكاملة".

أخيرًا، يذكر القديس إسحق في إحدى رسائله أن أحد الآباء النسّاك علّم أن لا شيء يمكن أن يحرر راهبًا من شيطان الكبرياء والشهوة غير القيام ببعض المهام "الاجتماعية". بعبارة أخرى، يقوم الراهب الذي يعتني بالمرضى و"الغارق في حزن الجسد" بما يوازي أتعاب النسك العديدة التي ستكون ضرورية لمنع الشرير عن مضايقته.

إلى هذا، هناك العديد من الروايات والأحداث الأخرى في الحالة الرهبانية التي تظهر أن الكمال الرهباني يتمّ التعبير عنه بشكل رائع في محبة الأخ. في الواقع، هذه المحبة، كتجربة عملية، هي معيار الكمال. "هذا دليل إلى الذين وصلوا إلى الكمال. حتى لو أُلقي بهم في النار عشر مرات في اليوم من أجل محبة الآخرين، فهذا لا يكفيهم".

لذا إن العزلة السطحية المعادية للمجتمع في حياة النسك هي الثوب الخارجي المتواضع الذي يغطي جمالًا روحيًا لا يضاهى. إن العمق الروحي لممارسة "العزلة القصوى" وأقسى أشكالها هو اختبار المحبة الأخوية الناشئة عن الاتحاد الصوفي مع الله الذي هو المحبة الكاملة واللامتناهية.

* Ιωάννης Κορναράκης, «Ανταύγειες της Πατερικής ερήμου μέσα στο σύγχρονο κόσμο», εκδ. Π. Πουρναρά, Θεσσαλονίκη, σελ. 41-50.

+ أستاذ فخري في علم النفس الرعائي والاعتراف، جامعة أثينا. رقد سنة ٢٠١٣.